العرب
الأربعاء 2020/02/19
السنة 42 العدد 11622

زيارة إيرانية مُسيئة

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

ليست زيارة رئيس مجلس الشورى الإيراني، علي لاريجاني، للبنان سوى تعبير عن سياسة إيرانية ذات طابع عدواني من جهة، وعاجزة عن الاستفادة من تجارب الماضي من جهة أخرى.

إنّها زيارة تعبّر عن فَشَلَيْن. الفشل الإيراني الداخلي على كلّ صعيد، والفشل اللبناني الفاقع الذي تسببت به "الجمهورية الإسلامية". بكلام أوضح، هناك دولة محورية في المنطقة قرّرت منذ 41 عاما، أي منذ سقوط نظام الشاه امتلاك مشروع توسّعي مبني على إثارة الغرائز المذهبية وإنشاء ميليشيات في كلّ مكان تمتلك نفوذا فيه مثل العراق وسوريا ولبنان واليمن، وحتّى في أفغانستان وباكستان. في سياق هذا المشروع، يتبيّن أنّه حيثما حلّت إيران، يحلّ الدمار ولا شيء آخر.

زيارة علي لاريجاني للبنان كانت مسيئة لإيران وللبنان في الوقت ذاته. هناك من يريد تعويم بلد غير قابل للتعويم. هذا الطرف الذي يريد تعويم لبنان يحتاج هو الآخر إلى تعويم

لعلّ الجانب الملفت في كلام لاريجاني ذلك المتعلّق بمساعدة لبنان في الخروج من أزمته الاقتصادية. هناك بكلّ بساطة انهيار اقتصادي في لبنان. الأخطر من ذلك، يتمثّل في غياب القدرة لدى كبار المسؤولين، مثل رئيس الجمهورية ميشال عون ورئيس مجلس الوزراء حسّان دياب، على استيعاب خطورة المرحلة التي يمرّ فيها البلد في ضوء ما أصاب النظام المصرفي. بلغ الوضع من الخطورة غياب المسؤول الذي يستطيع القول للمواطن اللبناني أو العربي أو الأجنبي ماذا حلّ بماله الموجود في المصارف اللبنانية. لا يوجد في العالم كلّه، في الوقت الراهن، بلد مثل لبنان. لا يمتلك البلد قيادة سياسية تمتلك حدّا أدنى من القدرة على التفكير في أمور في غاية البساطة. في طليعة هذه الأمور أن لا حلّ يمكن أن يؤدي في المدى الطويل إلى الخروج من حال الانهيار في غياب الدعم العربي للبنان. ولا مجال لهذا الدعم من دون استعادة لبنان لوضعه الطبيعي كعضو في جامعة الدول العربية، بدل أن يكون الناطق باسم إيران في الاجتماعات التي يعقدها مجلس الجامعة.

جاء لاريجاني، وهو شخصيّة مهمّة في إيران، ليؤكّد أن لبنان جرم يدور في الفلك الإيراني. جاء إلى بيروت من دمشق. انتقل بعد ذلك إلى بغداد على الرغم من الرفض الشعبي العراقي للنفوذ الإيراني الذي يمارس على كلّ المستويات في بلاد الرافدين.

ليس سرّا أن لاريجاني الذي حرص على لقاء حسن نصرالله، الأمين العام لـ"حزب الله"، إضافة إلى رئيس الجمهورية ورئيس مجلس النوّاب ورئيس الحكومة، إنّما جاء للقول إن إيران ما زالت موجودة. هل ينطلي ذلك على اللبناني العادي الذي يعرف أن إيران في وضع صعب وأنّ ليس في استطاعتها مساعدة لبنان. لعلّ ما يعرفه المواطن اللبناني العادي قبل غيره، وأكثر من غيره، أن إيران تعيش في الماضي وأن "الجمهورية الإسلامية" قبل تصفية الأميركيين لقائد "فيلق القدس" قاسم سليماني قبل شهرين، ليست إيران ما بعد عملية الاغتيال. تبيّن أن إيران لا تستطيع الردّ على الأميركيين وأنّه ليست لديها بضاعة قابلة للتصدير باستثناء الميليشيات المذهبية.

يفسّر هذا الإفلاس الإيراني الخطاب الأخير الذي ألقاه حسن نصرالله في أربعين قاسم سليماني وأبومهدي المهندس، نائب قائد "الحشد الشعبي" في العراق الذي قتل معه. تضمّن هذا الخطاب حملة شديدة على الولايات المتحدة ودعوة إلى مقاطعة البضائع الأميركية. كشف كلام نصرالله كم أن الرجل يعيش في دائرة صغيرة معزولة عمّا يدور في العالم. ربّما يحتاج الأمين العام لـ"حزب الله" إلى من يخبره أن حجم الاقتصاد الأميركي يساوي تقريبا ربع اقتصاد العالم، وأن ثمن كميات الـ"هامبرغر" التي يستهلكها الأميركيون سنويا تبلغ مليارات الدولارات، على حد تعبير صديق يتابع مجريات الأوضاع الأميركية عن كثب. إن ثمن ما يستهلكه الأميركيون من لحوم تستخدم في صنع الـ"برغر" هو ثلاثة أضعاف الموازنة الإيرانية، بما في ذلك مدخول النفط والغاز...

كانت زيارة لاريجاني للبنان مسيئة لإيران وللبنان في الوقت ذاته. هناك من يريد تعويم بلد غير قابل للتعويم. هذا الطرف الذي يريد تعويم لبنان يحتاج هو الآخر إلى تعويم. في النهاية، ليس لدى إيران ما تقدّمه للبنان، وليس لدى لبنان ما يقدّمه لإيران باستثناء دعوة حسن نصرالله إلى العراقيين من أجل الالتفاف حول "الحشد الشعبي". ماذا لدى "الحشد الشعبي" يقدّمه للعراق والعراقيين غير تجربة "الحرس الثوري" في إيران، وهي تجربة جعلت معظم الإيرانيين يترحّمون على عهد الشاه ومعظم العراقيين يترحّمون على صدام؟

للمرّة الألف، أن تعرف كيف تخسر في السياسة أهمّ بكثير من أن تعرف كيف تربح. من الواضح أن إيران لا تعرف لا كيف تخسر ولا كيف تربح. الدليل على ذلك انّ أميركا قدمت لها العراق على صحن من فضّة في العام 2003. في السنة 2020 تبدو إيران مرفوضة في الشارع العراقي، بما في ذلك الشارع الشيعي، أكثر من أيّ وقت.

لعلّ أكثر ما يفيد إيران في هذه الأيّام هو التصالح مع نفسها أوّلا، وأن تسعى إلى التصرّف كدولة طبيعية ثانيا وأخيرا. هذا يعني أن تعرف حجمها وأن تعترف بحجم الآخرين، خصوصا حجم "الشيطان الأكبر" الأميركي.

تكمن أهمّية إدارة دونالد ترامب الذي ليس ما يشير في غياب مفاجأة ضخمة، إلى أنّ ثمة ما يعيق عودته إلى البيت الأبيض لسنوات أربع أخرى بعد انتخابات تشرين الثاني – نوفمبر المقبل، في أنها عرفت إيران على حقيقتها.

المهمّ أن تعرف إيران نفسها ما هي حقيقة إيران وما هو حجمها. هناك شروط كي تصبح إيران مقبولة أميركيا وهناك شروط عربيّة كي تعود العلاقات إلى ما يفترض أن تكون عليه. ففي مؤتمر ميونخ للأمن، قال وزير الخارجية السعودي الأمير فيصل بن فرحان كلاما يفترض في إيران أن تفهم معناه. ما يفترض أن تفهمه أوّلا أنّ العرب لا يركضون خلفها، وأن ليس صحيحا ما تروّجه عن قنوات مع السعودية. أوضح وزير الخارجية السعودي أن الرياض لم ترسل أي "رسائل سرية" إلى طهران، وشدد على أن الحوار مع إيران لن يكون مُجدياً قبل تغيير سلوكها. أضاف في جلسة نقاشية خلال مؤتمر ميونخ، إن "الخطر والتوتر" في المنطقة ما زالا قائمين، لكنه أشار إلى أن السعودية لا تسعى إلى التصعيد مع إيران.

بعض الهدوء والتواضع أكثر من ضروري هذه الأيّام. لن تقدّم زيارة لاريجاني لبيروت ولن تؤخّر. لبنان مفلس وإيران مفلسة. كلّ ما في الأمر أنّ الزيارة أكدت أن حكومة حسّان دياب هي "حكومة حزب الله"، وأن العهد القائم هو عهد "حزب الله"!

الموت لإسرائيل وأميركا و«النصر» لإيران

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

لا بد أن يكون غبيا أو غافلا جاهلا أو انتهازيا كبيرا ولديه استعدادٌ فطري لخيانة وطنه وشعبه أيُّ فلسطيني يخدع نفسه وأهله، ويحاول أن يقنعهم بأن الحكام الإيرانيين صادقون في وعودهم للفلسطينيين التي ظل مرشدهم الأعلى الإيراني وكبار مستشاريه ومعاونيه يبشّرون بها، وبأنهم عازمون، فعلا، على تنفيذها في يوم من الأيام. فمن أول يوم هبط فيه الخميني على أرض مطار طهران في العام 1979 وإلى اليوم وهذا النظام يروّج لفكرة تصدير الثورة، مؤكدا أن العبور من العراق إلى سوريا ولبنان ليس له سوى هدف واحد، هو تحرير الأرض العربية الفلسطينية، والثأر للشعب الفلسطيني، ومحو إسرائيل، وطرد أميركا من المنطقة كلها، وإقامة دولة العدل الإلهي الرشيدة بعد ذلك.

وتحت هذه الذريعة أصبح كل غزو يقوم به حرسُه الثوري لدولة عربية، مباشرةً، أو بواسطة أي ذراع من أذرعه العراقية واللبنانية والفلسطينية والسورية واليمنية التي أنشأها وموّلها وسلحها، إنما هو خطوةٌ على الصراط المستقيم المُوصِل، في النهاية، إلى فلسطين، وتحريرها من النهر إلى البحر كاملة دون نقصان.

ومن أول حرب خاضها نظام الخميني، مباشرةً، بجيوشه وسلاحه مع غريمه صدام حسين في العام 1980، وما تلاها من حروب أخرى خاضها ورثتُه بالواسطة، وهو يمارس القتل والحرق والتهجير والتخريب والنهب والسلب، ويوسع دائرة نفوذه، فقط من أجل أن يصل إلى حدود إسرائيل.

حتى تحقق له ما أراد، وتمكّن، أخيرا، من إقامة الهلال الشيعي الذي وَعَدَنا بجعله قمرا، ثم وصل إلى شواطئ البحر المتوسط والبحر الأحمر، وأصبح الكيان الإسرائيلي في مرمى صواريخه التي باركها الله ورسوله والإمام الغائب، وسط تهليل "أولاده" الفلسطينيين واللبنانيين والعراقيين والسوريين واليمنيين.

ولكن الذي حصل هو أن كل الكوارث البشرية والمالية والسياسية والأمنية التي أنزلها الحرس الثوري وقائده قاسم سليماني وميليشيات أكرم الكعبي وقيس الخزعلي وهادي العامري وحسن نصرالله والحوثي بشعوب إيران والعراق وسوريا ولبنان واليمن وفلسطين، على مدى أربعين عاما، لم تكن من أجل فلسطين، ولا من أجل أيّ عربي أو مسلم آخر، حتى لو كان من أكثر الناس عبودية وولاءً له، وتفانيا في خدمة أهدافه القومية العنصرية الفارسية التي لن تتحقق.

فقد ثبت بالدليل القاطع الموثق المرئي والملموس أن هذا النظام أكذبُ أنظمة الحكم الغوغائية التهريجية الدكتاتورية التي عرفتها المنطقة والعالم، وأشدُّها قهرا لأهله وجيرانه، ولكنه أكثرها جبنا، أمام أعدائها، ونفاقا وانتهازية وتقية.فإسرائيل تصولُ صواريخها وطائراتها ومدافعها في سماء سوريا ولبنان، وتحصد كل يوم أرواح العشرات والمئات، من ضباطه وجنوده وأنصاره، وتدكّ العديد من معسكراته ومخابئ صواريخه وطائراته وميليشياته، وأميركا لا تكف عن إرسال هداياها الصاروخية القاتلة إلى مواقعه العسكرية وميليشياته، وهو لا يفعل شيئا سوى أن يأمر ميليشياته العراقية بإطلاق بضعة صواريخ خائبة على مبنى السفارة الأميركية في بغداد، أو على معسكرات أميركية في العراق، من أماكن مجهولة، كما يفعل اللصوص الجبناء.

وقد عثرت أجهزة الأمن الحكومية العراقية على منصة إطلاق الصواريخ داخل عجلة صغيرة، بعد أن نُقلت إلى هذا الموقع بعد استخدامها في موقع آخر.

وفي وقت لاحق، قالت مصادر الأمن الحكومية إن أحد الصواريخ قد انفجر في مقرّ الحشد الشعبي شرق بغداد، خلال محاولة إطلاقه على السفارة الأميركية، وقتل ثلاثة وجرح اثنين آخرين.

وهنا نسأل، متى إذن ستزحف جيوش الوليّ الفقيه وميليشياته التي طالما تباهى بجبروتها لتمحو لنا إسرائيل، ولكي تعيد لنا فلسطين كاملة، وعاصمتُها القدس الشريف، وتطرد أميركا من المنطقة، كما وعدنا الإمام الخميني ووريثه الإمام علي خامنئي؟ الله أعلم.

ألم يأتكم نبأ تمثال القتيل قاسم سليماني وهو يشير بإصبع كفه اليمين إلى فلسطين؟ وألم تطلعوا على آخر تصريح أدلى به أمين مجمع تشخيص مصلحة النظام، الجنرال محسن رضائي، قال فيه "نحن جادُّون في إخراج الولايات المتحدة من المنطقة، ولو ردّت إسرائيل على استهداف عين الأسد لساوينا تل أبيب بالتراب"؟

منذ هبط الخميني على أرض مطار طهران إلى اليوم والنظام الإيراني يروّج لفكرة تصدير الثورة، مؤكدا أن العبور من العراق إلى سوريا ولبنان ليس له سوى هدف واحد، هو تحرير الأرض العربية الفلسطينية

ولكن حسين سلامي، قائد الحرس الثوري، طمأن الفلسطينيين، بصريح العبارة، فقال لهم في مقابلة تلفزيونية أمس إن "هناك إمكانات كبيرة للقضاء على إسرائيل، لكن الظروف ما زالت غير ملائمة".

ثم ماذا؟ وما الداعي للعجلة؟ فقد انتظروا فيلق القدس أربعين سنة لتحرير فلسطين ومحو إسرائيل، وليس صعبا عليهم أن ينتظروا أربعين سنة أخرى. وفي العجلة الندامة، وفي التأني السلامة، والله مع الصابرين.